المنهج القرآني وجهود العلماء في معالجة آثار الغزو الفكري في ظل الاحتلال

إعداد

د. قتيبة فوزي جسام عبد الواحد الراوي

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك اللهم أن اصطفيتنا بأعظم النبيين دعوةً ، وأقربهم منزلةً ، وأوضحَهم حُجة، محمد ﷺ خاتم المرسلين ، اللهم صلِّ وسلم عليه وعليهم أجمعين، وعلى آله وأصحابه والمهتدين بهديه إلى يوم الدين .

وبعد ... فمما لا ريب فيه أن للغزو الفكري أو بمصطلح آخر الفكر الاستشراقي آثاراً في بعضِ أبناء المسلمين، وتَسبُّباً في انحرافهم، كما لا تُنكَرُ آثاره القوية في صد الغربيين عن الدخول في الإسلام ، ولما كان كشف الشبهات عن الدين من فروض الكفاية فقد رأيتُ من واجبي تجاه ديني، أن أُساهم ولو باليسير لبيان المشاكل والآثار السلبية التي خلفها الاحتلال لبلدنا الصابر، وجهود العلماء في معالجتها .

وإن المتتبع للتاريخ يجد أن هذا الغزو الفكري الاستشراقي ليس وليد عصرنا ، بل يعود إلى تاريخِ الحروبِ الصليبيةِ ، فقد غزا الغربُ الشرقَ في حروبٍ صليبيةٍ حاقدةٍ ضاريةٍ ، ومكثوا في الشرقِ قرنين من الزمانِ، وسيطروا على مواقعهِ الممتازةِ وعلى قلبِ العالمِ الإسلامي في فلسطين، وخفتت الأصوات وتلاشت المقاومة وطاب المَقام للصليبيين في بلاد الإسلام، يأخذون من خيراتهِ وينهبونَ أموالهُ وينهلونَ من علومهِ ، ويقتبسونَ أصولَ صناعاتهِ وفنونهِ المتقدمة في جميعِ جوانبِ الحياة ، ويُرسلون إلى بلادهم من كتبهِ المخطوطةِ وتراثه العلمي الثمين بغير حساب، وتمكنت الصليبية من أعناق المسلمين وديارهم، فانقطعَ الأمل وبطلَ العمل، ودخل في رَوع الصليبيين وعامة المسلمين أن الأمر انتهى، وأن على الإسلامِ السلام، لا تقوم له قائمةٌ إلى الأبد،

لكن أُناساً عرفوا أن لا ملجأ إلا الله وحده، وكان في ذروتهم القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩ هـ) الذي قادَ جماهيرَ المسلمين ، فجاهدوا في اللهِ حقَ جهاده، فانحسر ظلامُ الصليبية عن الشرقِ، وأشرقت عليه شمسُ الإسلام من جديد .

فالغزو الفكري قد بدأ منذُ وقعت بلادُ العالم الإسلامي في قبضةِ الغرب، وبدأ العالَمُ الإسلامي من جانبهِ ينبهرُ بما عند الغرب من تقدم مادي وعلمي، بينما المسلمونَ يومئذ متخلفونَ في جميعِ الميادين، ثم عمِلت مناهجُ التعليم ووسائل الإعلام على تعميق الغزو وترسيخه، وتخريج أجيال تنسلخ تدريجياً من الإسلام ، وتدخل تدريجياً في عملية التغريب، وقد أدرَك الغرب يقيناً أنَّ التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكرياً حدث قصيرُ العُمر، فانصرفت همُمُ مفكريهم وعلمائِهم إلى الغزو الفكري ، وكان العلم في أوربا آنئذ حكراً على الكنيسة ورجالها ، فنشطت الدراسات الاستشراقية قديماً وحتى عصرنا الحاضر ، وصحبها السطوُ على التراثِ الإسلامي ومؤلفاتِ المسلمين المخطوطة بالسرقة والرشوة ، فبلغت المخطوطاتُ العربية في مختلفِ العلوم في مكتباتِ أوربا الشيء الكثير ، وما تزال في ازديادٍ حتى أيامنا هذه، ونحن إذ نتطرقُ للمنهجِ القرآني وجهودِ العلماء في معالجةِ آثارِ الغزو الفكري في ظلِ الاحتلال ، لابد من التطرق إلى الدراساتِ الاستشراقية بدافعِ الاستعمار للبلادِ الإسلاميةِ، التي لم تنقطع فيها (حتى أيامنا هذه) أطماعُ الغرب في الشرقِ بعد الهزيمة الكبرى في الحروبِ الصليبية، فعكف علماؤه على دراسة الشرق، عقائد وعادات وأخلاقاً وثروات ولغات وتاريخاً، ودراسة خصائص الشعوب وأحوالها وجغرافية الشرق ومزاياه والمواقعُ المهمةُ فيه ، فعرفوا بواعث الشرق إلى القوةِ والمجد ، ومواقع الخير والإنتاج والعبقرية والتفوق، ومواقع الجدب وهزال الإمكانات والمواهب ، فلما تمكنوا عسكرياً من الشرق، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، أفادوا من خبراتهم

في تحطيم قوى الشرق وإضعافه روحياً ومعنوياً، واستلاب كنوزِه العلمية والمادية ، وعرفوا الفئات التي يُمكن أن يَتخذوا من أهلها صنائعَ لهم وعُملاء، وحاولوا إفقاد الشرق ثقته بنفسهِ ومبادئهِ وتراثهِ وحضارتهِ وتقاليدهِ وآدابهِ وأخلاقهِ، فأمكنهم أن يُخرجوا ضعاف النفوس وجهلاءَ الناس من دين الله أفواجاً أفواجاً ، فتم لهم ابتزازُ خير الشرق مادياً ، وتخريبُ شعوبه دينياً ، وتمزيق وحدته وشمله اجتماعياً ، فأيقظوا الفتن الطائفية والعرقية، وأحيوا الأفكار القومية من عربية وكردية وكلدانية وأشورية ، فتمت لهم الهيمنة على الشرق بتطبيق مبدئهم الأساسي (فَرِّقْ تَسُدْ).

والحق أن الإسلام يواجه في هذا العصر أعظم خطر فكري، ليس بكثرة الضلال وتنوع مشاربه، ولكن بوجود الوسائل الناقلة له التي تبُث في وقت واحد المادة الواحدة في ملايين البيوت، لذلك كانت محاربة الغزو الفكري وتحصين الأمة الإسلامية من موارد الضلال وعفونات الجاهلية الفكرية من أهم الواجبات المنوطة بولاة الأمر من الرؤساء والعلماء بل ومن عامة الأمة، ولاسيما في هذا الوقت الذي اشتدت فيه الهجمة وأثرت تأثيراً خطيراً في أفكارِ المسلمين وسلوكهم ، فالواجب ترشيد وسائل الإعلام ، ومحاربة المواد المُفسدة والقضاء على الوسائلِ الباثة لها.

والخلاصة أن قيام ولاة الأمر بتنفيذ الدين وإقامة شعائره وشرائعه وأحكامه وحدوده وآدابه والصرامة في تطبيق ذلك، وبالمقابل الدفاع عنه وحراستُه من كيد المفسدين في الداخل والخارج، والضرب على أيدي المبتدعين والمفسدين، من الأسباب الواقية بإذن الله تعالى للمجتمع المسلم من الأفكار المنحرفة والوسائل الخبيثة وسائر الشرور والمفاسد.

وبهذه الورقات أحاول بيان الجوانب الرئيسة لعنوان بحثي، بما حلَّ في الواقع الإسلامي عامة، والوقوف على الواقع العراقي كأنموذج واقعي معاش، لا لغرض

التركيز على الواقع العراقي في ظل الاحتلال ، بل للوقوف على المشاكل والمعوقات واقعاً معاشاً ، ليتسنى لنا وضع الحلول الناجعة لها ، ومحاور البحث هي:

المحور الأَول : تحديد مفهوم الغزو الفكري (الثقافي) .

المحور الثاني : مفهوم الاستشراق والمستشرقين .

المحور الثالث : أسباب وعوامل الغزو الفكري للبلاد الإسلامية.

المحور الرابع : من آثار الصليبية الحديثة في البلاد الإسلامية .

المحور الخامس : التراث والحضارة قاعدة الأمة .

المحور السادس : معادلة النصر والانبعاث الحضاري وفق المنهج القرآني .

المحور السابع : جهود العلماء في معالجة آثار الغزو الفكري بين الواقع والطموح .

المحور الثامن : مسؤولية الشباب المسلم تجاه التراث والحضارة الإسلامية والحلول والتوصيات المرجوة لمحو آثار الغزو الفكري .

❊ ❊ ❊

■ **المحور الأَول: تحديد مفهوم الغزو الفكري (الثقافي)**

لم ييأس الاستعمار من إبقاء سيطرته على البلاد الإسلامية بعد طرده منها بقوة السلاح ، فراح يخطط لبناء معاقله في المنطقة بتعزيز قواعد نفوذه الثقافية التي تركها بعد رحيله ، وتعميق جذورها بوسائل إعلامه المختلفة .

والغزو الفكري أو الثقافي الذي تتعرض له دول العالم الثالث ، ومنها البلاد الإسلامية ، كان موضوع دراسة ونقاش في عدة مؤتمرات وملتقيات ، وصدرت بشأنه عدة لوائح وتوصيات ، كان آخرها توصيات وزراء الإعلام المنظمة عدم الانحياز ، في اجتماعهم الأخير بهراري عاصمة زيمبابوي ، حيث دعوا إلى تطوير بنيات الإعلام في بلدان المنظمة كوسيلة لمواجهة أخطار الغزو الفكري[١] .

فالغزو الفكري : (كل فكرة أو معلومة ، يستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات الأمة الإسلامية : العقدية والفكرية والثقافية والحضارية ، أو يتحرى التشكيك فيها ، والحط من قيمتها ، وتفضيل غيرها عليها ، وإحلال سواها محلها في الدستور ، أو مناهج التعليم ، أو برامج الإعلام والتثقيف ، أو الأدب والفن ، أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة)[٢] .

فمقتضى الحال يقول : أن الغزو الفكري واقع على أكثر المجتمعات الإسلامية ، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله .

---

(١) ينظر مجلة التربية الإسلامية ، العدد التاسع ، السنة الثلاثون ، جمادي الأولى ١٤١٠هـ - كانون الأول ١٩٨٩م ، مطبعة ناجي ، بغداد : ٣٩ .

(٢) المرجع نفسه : ٣٩ .

■ المحور الثاني : مفهوم الاستشراق والمستشرقين

لا نعرف على وجه التحديد أول غربي اتجه إلى دراسة العلوم الإسلامية ، ولا تاريخ البدء بذلك ، لكنا نعلم أن الاستعمار الغربي للشرق ، قد أخرج الاستشراق من الاقتصار على دراسة علوم الإسلام ولغته وحضارته إلى دراسة أحوال الشرق دراسة كاملة ، بدياناته

وعاداته وحضاراته وتقاليده وجغرافيته واقتصاده ولغته ، لكنهم أولوا علوم الإسلام العناية العظمى ؛ لأن نهضته في توهمهم أعظم رهبة ، وترنحه أكبر غنيمة[١] .

فالاستشراق : (هو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية وأحواله الاجتماعية ، ولاسيما حضارة الإسلام وأحوال الأمة الإسلامية في مختلف العصور)[٢]، وللقائمين بالاستشراق دوافع بعثتهم على السير فيه ، وجعلت لهم أهدافاً معينة ، فسلكوا لتحقيقها أساليب لم يعرفها تاريخ البحث العلمي إطلاقاً ، ولم يعول عليها أحد من علماء الغرب في غير الدراسات الاستشراقية، ونحن نميز في المستشرقين أناساً أصحاب حياد وإنصاف ، وهؤلاء لهم كتابات معتبرة ، وفيهم مسلمون ، ومعظمهم مغمور غير معروف ، لا يتلقون شيئاً من مساعدات المسلمين أو غيرهم ، بينما تجد المتحاملين من المستشرقين يلقون عناية حكومية وكَنسيّة ، ودعماً مادياً ومعنوياً من جهات متعددة ، منها أجهزة

---

(١) ينظر وحي الله حقائقُه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين ، أ.د. حسن ضياء الدين عتر ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، ط١ (١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م) : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ٢٣ .

المخابرات في بلادهم ، وقد دأبت الكتابات الإسلامية المعاصرة على إطلاق كلمتي (المستشرقين والاستشراق) على المغرضين منهم ، وعلى اتجاهاتهم المنحرفة في البحوث الإسلامية ، ومن الطبيعي أن نورد الإطلاق نفسه عليهم ، ولسنا نقصد إلا الصنف المنحرف منهم(١).

■ المحور الثالث : أسباب وعوامل الغزو الفكري للبلاد الإسلامية

تقف وراء هذا النوع من الغزو للبلاد الإسلامية أسباب وعوامل نذكر منها :

أولاً : إن النضال السياسي والعسكري ضد الاستعمار في العالم الإسلامي ، لم يواكبه جهاد مماثل ، من حيث القوة والوضوح والجد والشمول ، ضد آثار الاستعمار وقواعد نفوذه الثقافية(٢).

ثانياً : إن كثيراً من البدائل الثقافية التي قررت كثقافة وطنية بعد رحيل الاستعمار ، كانت متأثرة جداً بأفكار الغازي وثقافته(٣).

ثالثاً : لقد حصل خلط مغل بين العلوم التجريبية والمسائل الثقافية ، فاستقبلت فلسفات الحياة ، ومناهج الثقافة ، ومفهومات الأدب والفن استقبال العلوم التجريبية ، ترحيباً وتمثلاً واستيعاباً ، وقد أدى هذا الخلط إلى الوقوع في تناقض حاد ، وبيان ذلك أن تلقي العلوم التجريبية ضرورة من ضرورات الاستقلال والتحرر ، ذلك أن الحرمان من وسائل القوة والتقدم يورث الأمة المحرومة التخلف والضعف من جهة ، ويغري الغزاة بالسيطرة عليها من جهة أخرى ، إذن فالتضلع من أنهار

(١) ينظر وحي الله حقائقُه وخصائصه في الكتاب والسنة: ٢٢ – ٢٣ .

(٢) ينظر مجلة التربية الإسلامية ، العدد التاسع : ٤٠ .

(٣) ينظر المرجع نفسه : ٤٠ .

العلوم التجريبية موقف بصير وحصين وإيجابي ، وإنما يقع التناقض حين يقف هؤلاء المبصرون والايجابيون تجاه العلوم التجريبية ، موقفاً آخر في مجال الثقافة ، ويتمثل هذا الموقف الآخر في التبعية الثقافية التي تتنافى مع دواعي الاستقلال والتحرر والتميز ، نعم إنه لمن التناقض الحاد أن يحرص المرء على العلم التجريبي ليستقل ويقوى ويشمخ ، وأن يخضع في الوقت نفسه للغزو الفكري ليتبع ويضعف ويذل[١].

رابعاً: إن التجدد الثقافي لدى المسلمين اليوم سار، ولا يزال يسير ببطء وتثاقل، فأشكال المدن والبيوت والأثاث والملابس مثلاً تجددت بمعدلات أسرع من معدلات التجدد الثقافي ، وهذا انتكاس في مسار النهضة، تجدد الأشكال والصور قبل تجدد الأفكار، طبع معالم النهضة بطابع دخيل، فرأينا كثيراً من أشكال المدن والملابس وقد تأثرت بالغزو الفكري[٢].

إن قيماً شكلية أجنبية عديدة متعارضة مع القيم السكانية الإسلامية، قد غزت فن المعمار الإسلامي، وعلة ذلك: أن مصممي العمارة والمدينة في العالم الإسلامي لم يستصحبوا قيم الإسلام وثقافته وهم يخططون ويرسمون، وهم ينجزون أو يطبقون خططهم ورسوماتهم، ولم يجددوا تلك الثقافة ولم يبعثوا معطياتها، فوقعوا من جراء ذلك في خطأين:

الخطأ الأول : أنهم حسبوا أن الهندسة المعمارية أشكالاً مجردة وصوراً وأنماطاً محايدة .

الخطأ الثاني : وهو ذو ارتباط وثيق بالخطأ الأول، أنهم علموا أن الأمم قد تغزى

(١) ينظر مجلة التربية الإسلامية ، العدد التاسع : ٤٠ .

(٢) ينظر المرجع السابق : ٤٠ – ٤١ .

ثقافياً عن طريق الفن المعماري، أو من خلال هندسة البيت والمدينة[١].

خامساً : إن المجتمعات الإسلامية بوغتت، وهي متلبسة بأغلال الغزو الثقافي وآثاره ، بما زاد المشكلة سعة وعمقاً وتعقيداً وحدة، فقد بوغتت المجتمعات الإسلامية بتدفق إعلامي ضخم الحجم ، بالغ التأثير، متواصل الطرق والدق والإلحاح، فخوطب الطفل المسلم بما يتعارض مع فطرته، ومقومات تكوينه الإسلامية، وخوطبت المرأة المسلمة بما يجعلها نسخة مشوهة من المرأة الغربية، وخوطبت الأسرة المسلمة بما يقوض أواصر التواد والتراحم، ويهدم الصلة السوية بين الأجداد والأبناء والأحفاد، وخوطب المجتمع الإسلامي كله بما يضرب وحدته الفكرية، وبما يورثه فتنة في الدين، وشكاً في المقومات، وبما يزلزل أمنه الثقافي، وطمأنينته النفسية[٢].

■ المحور الرابع : من آثار الصليبية الحديثة في البلاد الإسلامية

منذ عدّة قرون، وبعدَ فشل الحملات الصليبية الأولى برغم التعبئة الهائلة التي اخترقت بها دارَ الإسلام، وبرغم بقائها مشتعلةَ الأوارِ مئتي سنة، رأى قادةُ الغرب أن يجدّدوا وسائلهم في محاربةِ العالم الإسلامي، وأن يمزجوا العنف بالحيلةِ، والمواجهة بالالتفاف، فاقتحموا الشرقَ مرةً أُخرى في أزياء جديدةٍ، ساترين مخالبهم بقفازاتٍ من حرير، وقرّروا أن يكيدوا للإسلام في حذرٍ ومكر، وأن يبلغوا مآربهم الأولى وفقَ خططٍ جديدة[٣].

---

(١) ينظر مجلة التربية الإسلامية ، العدد التاسع : ٤١ .

(٢) ينظر المرجع نفسه : ٤١ .

(٣) ينظر معركة المصحف في العالم الإسلامي ، لمحمد الغزالي، دار القلم، دمشق ، ط١ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) : ١٤٤ .

لقد استعانَ الغزاةُ الدهاةُ بما بلغته دول الغرب من تقدّم حضاري عظيم ، واستعانوا كذلك بما أصابَ المسلمين من عجزٍ وبلاهةٍ ومعصية ، فانطلق الاستعماريون الأقوياء الأذكياء في أحشاء الأمة ، التي كان دينُها وحظّها في دورة المحاق ، فإذا هم يبلغون في حملاتهم الحديثة مثلَ أو أكثرَ ممّا بلغوه في حملاتهم الأولى ، فالعرب في البلاد الإسلامية كادوا يفقدونَ لغتَهم العربية في أقطار المغرب العربي (تونس ، والجزائر ، ومراكش) ، وكادت اللغةُ الفرنسية تحل محلها في البيت والشارع ... والمسجد إن دخله أحد[١].

وسيطر دعاة العامية حيناً من الزمن على الجوِّ الأدبي في بلادنا، وزالت اللغة العربية إلا قليلاً من الأقطار الإسلامية في الهند وسائر أسيا ومن إفريقيا تقريبا، وحلَّت محلَّها اللغة الإنكليزية أو الفرنسية، والشريعة الإسلامية وضعت في المتاحفِ مع اللغة الهيروغليفية، وأضحى العملُ بها حلماً، والنداءُ بها جرماً[٢].

وأما الوحدة الإسلامية فإنها مُزِّقت شرَّ ممزَّق مع القوميات الضيقة المتعدّدة التي جعلت المسلمين سبعين شعباً، لكلِّ شعبٍ منها رايته ، وفكرتُه، ومصالحُه، وتاريخُه، ومن آثار الاستعمار للبلاد الإسلامية،أنها جعلت الثقافة والتربية الدينية في طور الانكماش، وربما تختفي في بعض الدول من التعليم العام، وتخرّجت من المدارس والجامعات في الأمة الإسلامية الكبرى طوائفُ غريبةٌ على الإسلام جاهلةٌ له، منكرةٌ لتقاليده وشعائِره أو محايدة أو عاطفة من بعيد[٣].

---

(١) ينظر معركة المصحف في العالم الإسلامي ، لمحمد الغزالي : ١٤٤ .

(٢) ينظر المصدر نفسه : ١٤٤ .

(٣) ينظر معركة المصحف في العالم الإسلامي ، لمحمد الغزالي، دار القلم، دمشق ، ط١ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) : ١٤٤-١٤٥ .

وأما ما يتعلق بكتاب ربنا جلّ في علاه في عيون المسلمين تحت الصليبية الحديثة ، فإن المصحف كتابٌ حسنُ الطبع، جميلُ الورق،أما ما تضمّنه من وحي ينشئ الأمم، ويمسكُ الحضارات أن تزول، فشيءٌ لا يخطرُ إلا ببال نفرٍ من المتخلّفين عن قافلة العصر الحديث [١]، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

■ المحور الخامس : التراث والحضارة قاعدة الأمة

يشكل التراث والحضارة مكون من مكونات الأمة، والذي يتأصل بالتربية والتعليم، ويفضي إلى تحقيق الانتماء والتواصل بماضي الأمة، لا بغرض العودة إلى الماضي، بل للارتكاز عليه والوقوف على قاعدته في الانطلاق نحو الغد يمثل التاريخ والتراث ذاكرة الأمة ومرجعيتها في امتدادها وعمقها الحضاري، ومن ثم فإن تشكيل العقل العربي وتنميته، ينبغي أن يبدأ بتغذية دسمة وجرعات مكثفة وكافية ومستمرة في مراحل الدراسة والحياة، ومن مصادر متنوعة، لذا فإن تدمير الشخصية الوطنية لأي مجتمع وأُمة لا يمكن أن يكون تدميراً مؤثراً إلا بتدمير الذاكرة لهذا المجتمع وهذه الأمة [٢].

واتصالاً مع هذه الحقيقة بدأت حملات العداء وهجماتها على الأمة الإسلامية، بالحملات والهجمات على تاريخ الأمة ورسالتها، وقد أضطلع المستشرقون ومن ورائهم الدوائر الاستعمارية بدور واضح في تشويه تاريخ الأمة، وتقديمه على نحو مضطرب وغير مستقر، وأنه تاريخ شعب ليس له حضارة، ويتطلع إلى الحصول

(١) ينظر المصدر السابق : ١٤٥ .

(٢) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي ، د. عبد الله أحمد الذيفاني ، بيت الحكمة ، بغداد ، ط١ (٢٠٠١م) : ١٥٣ .

على مصادر يقوم بها حياته ويسد حاجاته الاقتصادية ، ووصل التشويه مداه حين تجرأوا على شخصية الرسول الكريم محمد ﷺ وعلى جوهر دعوته ، ومعاني فتوحاته الإنسانية[١].

■ المحور السادس : معادلة النصر والانبعاث الحضاري وفق المنهج القرآني

من قال إن حقائق النصر ومسلماته قد وضعها فلان هنا أو فلان هناك ؟ من يقول ذلك لا يمكن أن يوصف إلا بضحالة الفكر وتهافت الرأي أو انحراف الثقافة .

إن الحضارة الإسلامية العريقة التي نهل من معينها الغرب في أثر الشرق فكراً وسلوكاً، لم تحرز الاهتمام من الغير وتلك المكانة إلا لأسباب ومبررات، وتلك الأسباب هي قطعاً لما تنطوي عليه تلك الحضارة من مبادئ وأسس ومثاليات في كل مناحي الحياة، في الأخلاق كانت نعم المعين، وفي الفكر كانت نعم المنبع الصافي العريق ، في العلوم بشتى أنواعها وفي الأدب بشتى فنونه[٢].

ولا أريد أن أبتعد كثيراً عن العنوان الذي نحن بصدده ، فالذي يجب أن أقوله بهذا الصدد ، أن طرائق النصر والوصول إليه قبل أن يكتب فيه الغرب المؤلفات النظرية ، كان موجوداً أصلاً في ثنايا حضارتنا (نظريات وتطبيق) ، بل كانت معادلة النصر المثالية مخطوطة في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ، ولم تكن تلك الأُسس والحقائق مطروحة للدرس والتطبيق لبعض من الناس دون غيرهم ولكن كانت

---

(١) ينظر المصدر نفسه : ١٥٣ .

(٢) ينظر مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة ، لزيدان عبد الفتاح قعدان ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) : ١٧٩ .

مطروحة للكل وسيما المظلومين في جميع بقاع العالم ، ولم يأت الإسلام أصلاً إلا لنجدة أولئك المظلومين أو المستضعفين أينما كانوا وفي أي وقت كان ، ولا يشك أحد في أن القرآن الكريم حينما أورد ذلك ، ما كان ليورده إلا لمن يهتدي بهديه ، ويقتدي بفكره ويسير على خطاه من العلماء الأتقياء ، وبالتالي فإن أولئك هم جبهة الحق الذين وعدهم الله بنصر من عنده والله لا يخلف الميعاد[١].

والحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم بطريقين لا ثالث لهما يوصلان إلى تحقيق الانتصار على قوى الشر والطغيان ، إلا أنه ركز على طريق وسبيل واحد يجمع بين جميع العناصر المؤدية إلى حسم الصراع لصالح قوى الحق والحرية ، والطريق الأول هو الذي يحسم بعون سماوي مباشر ، والطريق الثاني يحسمه الإنسان المؤمن ، وملامح الطريق الثاني فيها شيء من ملامح الأول ، والفرق هو أن الأول جاء لزمن وقوم معينين وبذواتهم ، أما الثاني فقد جاء لكل زمان ومكان[٢].

الطريق الأول : وهو الطريق الذي أوضحه القرآن الكريم بكثير من التفصيل والأمثلة عن طريق المعجزة السماوية التي ما أن تحل بقوى الشر والطغيان حتى تحيلهم إلى ما يشبه

﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[٣]، وهذا الطريق لا يعول كثيراً على العنصر المادي أو المعادلة المادية في تحقيق النصر، وجل اعتماده أو كله يعتمد على العون والمدد السماوي ولا بأس هنا إن ذكرنا أمثلة من الأقوام التي طغت واستبدت في الأرض وعاثت فيها

(١) ينظر مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة : ١٧٩ .

(٢) ينظر المصدر السابق : ١٧٩ – ١٨٠ .

(٣) { الحاقة : من الآية : ٧ } .

فساداً وإفساداً وكان مصيرها في النهاية الهلاك ، محققين بذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[١]، فالبعض منهم ما زالت آثارهم باقية ، وحقيقتنا إن قورنت مع حقيقة أولئك فلا شك أن الحق اليقين سيدخل القلوب المترددة ويجتاح بالقدر نفسه القلوب الملحدة إذ ساعتها ستدرك أن هذا القرآن بعيد عن صنع البشر ، فآياته وآيات الكون واحدة كيف لا ومصدر هذا وذاك واحد ، لا بل حقيقة هذا وذاك أيضاً واحد[٢].

فمثلاً قوم عاد وثمود ، قال تعالى : ﴿ وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ، وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾[٣] ، فما ذكر القرآن الكريم ذلك إلا أمثلة لقوم يعقلون ، فمسيرة الإنسان طويلة وشاقة وأن صراع الحق والباطل أيضاً طويل وشاق وأما نتيجة الصراع في النهاية هي لصالح قوى الحق لأنها مؤيدة بنصر الله وذلك وعد ، والله لا يخلف وعده ، صحيح أن ذلك كان نصراً من الله لأنبيائه ولكن الصحيح أيضاً أنه كان لنصرة الحق كائناً من كان حامل لوائه وما أولئك إلا أمثلة قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ ﴾[٤][٥].

---

(١) { النمل : الآية : ٦٩ } .

(٢) ينظر مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة ، لزيدان عبد الفتاح قعدان : ١٨٠ .

(٣) { العنكبوت : الآيتان : ٣٨ – ٣٩ } .

(٤) { العنكبوت : الآية : ٤٣ } .

(٥) ينظر مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة ، لزيدان عبد الفتاح قعدان : ١٨٠ – ١٨١ .

الطريق الثاني : هذا شيء من أشياء ، بل هذا درس من دروس ، وعبرة واحدة من بين كثير من العبر ، التي وردت جلية واضحة في ثنايا صفحات القرآن الكريم ، لا بل في كل صفحة إن لم يكن في كل آية وكلها توضح أن نهاية الصراع دائماً ونتائجه هي لصالح عناصر الحق والعدل والحرية[١].

ورب سائل يسأل فيقول : أين نحن من أولئك المؤمنين المخلصين (الرسل الكرام)؟ فمنهم الذي كان على صلة وثيقة بالرب يطلب ساعة يشاء ويأتيه التنفيذ أيضاً ساعة يشاء (بإذن الله) وبالمدد الصاعق الماحق الذي لا يبقى ولا يذر ، ومنهم الذي يحمل قوة وعظمة الرب بين يديه يطلقها ساعة يشاء فتحيل أنصار الباطل إلى الحقيقة (فيلقى السحرة ساجدين) ويؤمنون برب العالمين ؛ لأنهم يرون الحقيقة رأي العين ، وأما نحن في هذا الزمان ، ما الذي بأيدينا من قوة نطلقها ساعة نشاء لنحيل دعاة الكفر والشرك والاستعمار للبلاد الإسلامية إلى شذر مذر كما هو حالهم المحتوم فيما سلف؟.

نعم من هذا السؤال يمكننا أن نستبين الطريق الثاني لتحقيق الانتصار إنه الطريق الذي ما أن سار عليه رسولنا الكريم محمد ﷺ حتى تحولت قوى الشر والطغيان إلى شراذم مبعثرة هنا وهناك، كان ذلك في سنين معدودة[٢].

صحيح أن الوحي الإلهي قد انقطع مدده السماوي عن أهل الأرض، ولكن الصحيح أيضاً أن هذا الانقطاع لا يعني أن السماء قد نبذت الأرض أو تخلت عنها، حاشا لله أن يكون ذلك ولكن الأمانة الموجودة على ظهر الأرض ما زالت هي هي لم تتغير وما

(١) ينظر مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة ، لزيدان عبد الفتاح قعدان : ١٨١ .
(٢) ينظر المصدر نفسه : ١٨٢ .

زالت باقية محفوظة كما هي بنقاطها وحروفها وآياتها وسوّرها إن لم يكن في بطون المصاحف فهي في صدور العالمين ، إنها الكلمات نفسها والخطط التي جاء بها الوحي من السماء ليلقنها لأهل الأرض ، لا يهم من هو المتلقي رسول كان أو أي إنسان ، إنها خطى وخطط وخطوط عريضة لا بل هي مبادئ وقِيَم في الحق والعدل والحرية والانتصار ما أن يتمسك بها الإنسان فلن يضل كما لم يضل الذين تمسكوا بها من قبل ، أما اليوم في عصرنا فالتجربة موجودة ، والمثال كائن ، والحقيقة ناصعة والنتائج هي أيضاً ناصعة للقاصي والداني ، ولحسن الحظ لا ينكرها أحد ، وما دام الأمر كذلك دعونا نتبين الأسس السليمة بشيء من الإيجاز ، الواجب معرفتها للوصول إلى نصرة الحق ، والعناصر المثالية المؤدية للانتصار ودحر الباطل بعد أن ساد الباطل هذا الزمن المليء بالظلم والاستعمار ، وأهم هذه الأسس :

أساسات العلم والدين : وهي مهمة العلماء ولاسيما علماء الدين الذين وقفوا وقفة الشجعان كما عايشناهم في بلدنا الصابر في ظل الاحتلال الأمريكي ، فكانوا في منابرهم وعاظاً ، وفي مساجدهم قادة للدين ، وفي مجابهة العدو أول المنطلقين ، الذين أتشرف أن أسير في ركبهم، وهذه الأساسات تجمع بين مقتضيات المادة والروح وهذه إن تحققت وتأكدت في المجتمع، أي مجتمع، فلا بد أن يتفرع عنها أساسات أخرى، من مثل الوحدة وحدة الأمة ، والحرية، حرية الفرد والمجتمع، وكلها تمثل عناصر القوة في أي مجتمع كان وهي بمثابة عناصر أساسية في البناء الحضاري لكل أمة ، ولكن الأساس الديني أو البعد الديني من المعادلة الأساسية معادلة الانتصار الحضاري الكوني هو أهم هذه الأساسات ، لأن هدفنا في الحديث عنها في هذا المقام ، هو أن تتعمق جذور الدين في المجتمع لتعود للإنسان المسلم حقوقه وحريته.

هذا الذي نبغيه ويرجوه كل عالم مؤمن برب هذا الكون ، وأرجو أن يسود مجتمعنا

المليء بالتناقضات هذا الطابع الإسلامي كما أراده الله تعالى لعباده ، الذي أضفى على المادة وغرورها هيمنة إلى حد الإفراط ، سمحت للإنسان أن يستعبد أخاه الإنسان حتى وصل هذا الاستعباد إلى درجة الوثنية والإشراك ، ولكنه إشراك من نوع عصري أذنت به المدينة الحديثة التي وإن اكتست زياً عصرياً إلا أنها مغرقة في الوثنية ، شأنها في ذلك شأن الوثنية التي سادت قبيل نزول القرآن وبزوغ شمس الإسلام ، إنها الوثنية الحديثة ذاتها الوثنية القديمة ، لكن الفرق فقط في الزي والأسلوب ففي الوثنية المسيحية التي سادت أوروبا في ذاك الزمان ، طغت المادة على حياة الناس ، واكتست كل المظاهر الحياتية الأسلوب والاتجاه المادي البحت ، مما أدى إلى تراجع القيم والأخلاق[1].

فالذي نبغي وأرجوه من الله تعالى أن يتآلف الدين والدولة ، وأن يوقف هذا الانفصام بينهما والذي جاءنا مع المبشرين الذين فتحوا بلادنا للاستعمار والاستعباد ، فإذا عاد الدين إلى مرافق الدولة ، لابد أن يخرج الاستغلال منها ، وتنتهي عبودية الإنسان للإنسان الذي هو مثله ، وإذا ما دخل الدين فلا بد أن تخرج أساسات الدكتاتورية وتنمحي عبودية الاستعمار للمجتمع الواحد ، أي تتحقق حرية الإنسان ، وإذا ما دخل الدين إلى البيوت فلا بد أن تخرج منها بقايا ترهات المشعوذين من المحتلين ويتحرر فكر الإنسان من القيود والأساطير ويطلق له العنان لأن يتأمل ويفكر في ملكوت السماوات والأرض دون قيد أو شرط ، وإذا ما دخل الدين إلى المجتمع لا بد أن تحل الشورى محل الاستبداد فالذي قال لا إكراه في الدين حري به أن يقول لا إكراه في الحكم ، وإذا ما دخل الدين مرافق الدولة ومنشآت المال ، حلت

(١) ينظر مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة ، لزيدان عبد الفتاح قعدان : ١٨٣ .

الأمانة محل الخيانة والصدق محل الكذب والمال الحلال محل السرقة والاحتيال ، وإذا ما دخل الدين إلى الدولة تحولت من دولة لا أخلاقية إلى دولة أخلاقية راقية[١].

المحور السابع : جهود العلماء في معالجة آثار الغزو الفكري بين الواقع والطموح

في الوقت الذي أتحدث فيه عن دور العلماء في معالجة آثار الغزو الفكري في ظل الاحتلال ، لابد من الإشارة إلى ظاهرة اغتيال واختطاف العلماء والأكاديميين ، التي انتشرت بعد الاحتلال والإجرام الأمريكي في العراق ، مما يتأكد لنا بهذه الظاهرة الدور الفاعل للعلماء في مجابهة ومعالجة آثار الغزو والاحتلال ، الذي يضطلع به المحتل ومن ورائهم الدوائر الاستعمارية الصهيونية ، التي حسبت للعلماء الناطقين بصوت الحق الرافض للاحتلال ألف حساب ، فدور العلماء كما شهدنا أيام الاحتلال الذي ولازال قائماً في بلدنا الصابر ، دور توجيه وإرشاد ودعم مادي ومعنوي وفق منهج رسمه الله تعالى في كتابه الكريم ، وليس منهجاً مستخلصاً من أفكار وعقول هؤلاء العلماء ، فما دورهم إلا مشاعل نور في ظلام الاحتلال ، وقمر منير في ليل الظُلم .

لاشك أننا نمر بمرحلة حاسمة من تاريخ تطورنا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري ، ويتعرض مجتمعنا لكثير من التحديات ، ويجتاز كثيراً من الصعاب ، ويتبنى كثيراً من الأهداف والآمال ليلحق بركب حضارة العصر وتطوراته المتلاحقة، إن هذا العصر ، عصر المشكلات الإنسانية الذي تكثر فيه الخطوب والمحن التي يتعرض لها الإنسان أثناء استمراريته في الحياة ، لذا يطلق عليه « عصر القلق والصراع « ، وإن نظرة بسيطة على المجتمع، وعلى العالم يتبين ذلك في انتشار الصراع

(١) ينظر مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة ، لزيدان عبد الفتاح قعدان : ١٨٣ .

بين الأعراق والأديان المختلفة، وكذلك في انتشار الصراع الحضاري علمياً وقيمياً وتكنولوجياً .

من هنا لا يمكن أن نتصور أن يقف علماء البلاد الإسلامية التي تعرضت للاحتلال والاستبداد موقف المتفرج حيال أحداث المجتمع وتطوراته وخططه في التنمية والتشييد والعمران، أو حيال ما يوجد به من مشكلات وأزمات، وما يتعرض له أفراده من الصعاب والعذاب؛ فكلُ عالم من موقعه وكلٌ بحسب اختصاصه، فعالم النفس مثلاً يعمل في خدمة المجتمع وتحقيق أهدافه ، ويسهم في تحريره مما يكبل طاقته من الأغلال والقيود ، ومن المشكلات والأزمات ، كالعنف والتعصب والابتزاز ، وعالم الدين يرشد الناس إلى طريق الحق المبين الذي يريده الله تعالى ويرضاه .

ولاشك أنه من بين الظواهر التي تتعرض لها منطقتنا العربية ذلك الاحتلال الأجنبي متمثلاً في اعتدائه على المدنيين، والذي تمارسه إسرائيل على أصحاب الأرض المحتلة في فلسطين ومن بعدهم بلدنا العزيز الذي تعرض لأشرس هجمة همجية في تاريخ الأمم والشعوب المعاصرة، والتي نتج من خلاله الذعر في النفوس والخوف في القلوب، إن مثل هذا الاحتلال الباغي خلف وراءه كثيراً من المشاكل والسلبيات ؛ فبالإضافة إلى الدمار الهائل الذي لحق بالمنشآت الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وكافة مؤسسات المجتمع، كان هناك دمار من نوع آخر، أقوى أثراً وأشد فتكاً ، وهو دمار الإنسان، فالصراع الذي تعاني منه المنطقة العربية ينال حجماً بارزاً في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية ، ليس على مستوى الفرد فقط، بل على مستوى المجتمع، وعلى مستوى العالم ككل، لهذا ينال هذا الموضوع اهتماماً كبيراً من الحكومات، والمفكرين، والمهتمين بقضايا الشعوب والمجتمعات .

ويشير علماء النفس إلى أن الأفراد الذين يعايشون الاحتلال والأزمات، يكونون

غالباً أكثر عرضة للإصابة بالمشكلات المرتبطة بالصحة النفسية والعقلية أكثر من الأفراد الذين لا يعايشون هذه الخبرات،وحتى الأفراد الذين يخضعون لمثل هذه الأزمات يختلفون فيما بينهم في مدى الأضرار النفسية والجسدية والعقلية التي يصابون بها؛ فهناك أفراد يملكون من القدرات النفسية والعقلية ما يجعلهم أشداء في مواجهة الأزمات، وهناك آخرون لا يستطيعون تحمل المشاق النفسية في مواجهة المحن والشدائد، فينهارون عند أول مواجهة لها، وقد تظهر هذه الفروق في كيفية الاستجابة لظروف الأزمة والضغوط الحادة التي واجهها الأفراد أثناء فترة الغزو والاحتلال،وقد يستجيب الفرد للأزمة بصورة حادة أو بصورة معتدلة حسب مدى إدراكه لها كعنصر مهدد لحياته وحياة أسرته ، وقد يستجيب فرد آخر للأزمة ذاتها على أنها موقف تحدٍّ لقدراته وإمكانياته الذاتية ، ومن ثم يتصرف بصورة أكثر إيجابية لمحاولة مواجهتها والتغلب عليها[١].

ويؤكد عدد من خبراء التربية وعلم النفس أن الخبرات المؤلمة لا تنسى بسرعة ، وأن الحروب والاحتلال يخلفان موقفاً صدمياً بالنسبة لبناء الفرد النفسي أكثر شدة وأطول مدة إذا كان المسبب لها هو الإنسان، وتعد الضغوط النفسية إحدى الظواهر النفسية المصاحبة للأزمة،وهي إن تكررت أدت إلى الإرباك في حياة الفرد، والضعف في الجوانب السلوكية، والعجز عن التفاعل مع الآخرين، إن معاناة الذين يعايشون محنة الاحتلال تتولد من مشاهدة العنف والاعتداء والحرمان من كافة الحقوق ، ونتيجة لذلك فإن هذه المعاناة تبرز كانعكاسات في صورة سلوك منحرف خارجي

(١) نظرات نفسية تربوية – دروس مستفادة من حرب الخليج، لحامد العبد ، مجلة التربية ، جامعة أسيوط ، المجلد الثاني ، العدد التاسع ، ١٩٩٣م .

وكرد فعل طبيعي لهذه الأحداث .

ومنذ عام ١٩٤٨ وعلى إثر قيام دولة إسرائيل على الأراضي العربية المحتلة ، يعاني الشعب الفلسطيني من قسوة الاحتلال أشد المعاناة ، ولقد لاقى ما لم يلقه أي شعب آخر من ظلم واضطهاد وتنكيل وإرهاب ، وهذه المواقف الضاغطة تشكل حالة من الضيق والتوتر على نفسية الأفراد ، وبالتالي فهي مواقف قادرة على تفجير اضطراب سلوكي نتيجة للأساليب اللاإنسانية للسلطات المحتلة ، وللصدمات المتتالية المهددة للسلامة النفسية والجسدية ، كما أن الآثار السلبية التي يتركها الاحتلال والاعتداء على المدنيين ، قد تظهر في صور نفسية وسلوكية مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر : البكاء ، والاستفزاز في السلوك ، والثورة دونما سبب ، والسلوك العدواني ، وعدم الالتزام بالقوانين العامة ، وإهمال الواجبات اليومية ، والشكوى من اضطرابات النوم ، وعدم الراحة ، والإرهاق ، وفقدان الثقة ، والشعور بالقهر ، والقلق والضيق ، والخوف ، والكراهية ، والضعف في الوظائف الاجتماعية ، كما تبدو هذه الآثار السلبية في بعض مظاهر العمليات العقلية كظاهرة التشوش في التفكير ، والشرود الذهني ، والتشتت في الانتباه ، والنسيان ، والانشغال الفكري بأحداث الاحتلال والاعتداءات المستمرة .

ومثل هذه الآثار السلبية تصبح مرضية إذا استمر الفرد في معاناته لهذا الاحتلال لفترة طويلة ، وهذا ما يحدث من قبل العدو الإسرائيلي ، وكذلك عندما نعاني ضعفاً عاماً في القدرة على التعامل مع هذه الآثار السلبية للاحتلال الأمريكي لبلدنا الحبيب .

إن الجهود العلمية لعلماء النفس وغيرهم ـ في إطار ثقافتنا الإسلامية ـ يتعين أن تتجه إلى دراسة الآثار السلبية لأزمة الاحتلال ، والاعتداء على المدنيين التي توجد في المجتمع العربي ، ليكون لعلم النفس دور إيجابي ونافع ينعكس أثره على كافة الناس

، لذلك أرى أهمية إعداد البرامج الإرشادية للتغلب على الآثار السلبية للاحتلال وما يتبعه من غزو فكري ، بعد تشخيص وتقييم مستوى الاضطرابات السلوكية لدى المتضررين من الاحتلال بهذا الإرهاب الفكري ، مما يساعد في تحديد الأهداف المرجوة من هذه البرامج ، وبالتالي تحديدها فيما يأتي :

١. توجيه برامج التدخل خلال مرحلة الطفولة إلى الوالدين والمهتمين بشؤون الطفل والقائمين على رعايته صحياً ، وذلك للإسهام في بناء الأساس الحاسم والمقاوم للاتجاهات والمعارف والسلوكيات التي ترتبط جميعها بالعدوان .

٢. اللجوء إلى البرامج الوقائية التي يتم تقديمها من خلال مؤسسات التربية والتعليم ، وذلك لمساعدة هذه المؤسسات على توفير بيئات آمنة ، وبرامج فعالة تعمل على منع انتشار العنف والاضطرابات السلوكية بين أفراد المجتمع .

٣. زيادة المعرفة والإلمام بالتنوع الثقافي ، وانغماس أعضاء المجتمع في تخطيط وتنفيذ وتقييم برامج التداخل المختلفة .

٤. ضرورة أن تأخذ وسائل الإعلام دوراً فعالاً في مواجهة مشكلة العنف من قبل الاحتلال وتطويقها ، وتطوير ما تقدمه من برامج حتى لا تكون مجرد عامل مساعد على حدوث المشكلات السلوكية .

٥. تقديم خدمات الصحة النفسية لضحايا الاحتلال حتى يتم تجنب سيرهم باتجاه الانغماس في العنف .

٦. تقديم البرامج التربوية المناسبة بغرض الحد من التعرض للأذى من قبل قوات الاحتلال .

٧. بذل الجهود وتضافرها لتعزيز قدرة قادة المجتمع على منع العنف .

٨. إعادة النظر في مصادر التمويل الخاصة باستقطاب الوقاية والعلاج للحد من

الآثار السلبية المترتبة على الاحتلال .

٩. تدعيم أو تعزيز الكفاءة الاجتماعية التي يمكن أن تسهم في إيجاد العلاج اللازم للاضطرابات السلوكية الناجمة عن الاحتلال .

١٠. الحد من أثر العوامل التي يمكن أنْ تسهم في حدوث المشكلات السلوكية ، والعدوان بشكل عام .

١١. أن تتحرك المؤثرات الاجتماعية على كافة المستويات بشكل أكثر تنظيماً واتساقاً ، وذلك على المستوى العام للمجتمع للحد من العدوان .

١٢. تشجيع البحث العلمي المستمر ، حيث إنّه المؤشر العلمي الحقيقي لتحديد جوانب مشكلة الاحتلال وتقديم الحلول لها[١].

■ المحور الثامن : مسؤولية الشباب المسلم تجاه التراث والحضارة الإسلامية والحلول والتوصيات المرجوة لمحو آثار الغزو الفكري

من المؤسف أن بعض الشباب المسلم قد تعرضوا إلى التضليل ، ووقعوا تحت تأثيرات الزيف والإدعاء بتخلف الأمة العربية والإسلامية ورقي الغرب وأمريكا وهو إدعاء باطل ، ومن خلال هذا المنطلق نبين الدور المطلوب من المثقف العربي المسلم تجاه تاريخه وتراثه ، وما المطلوب من الشباب في هذا المضمار :

أولاً : مواجهة حملة التضليل المحمومة والمملوءة بالزيف والأباطيل ، لكي لا تجعل

(١) ينظر أثر استخدام برنامج إرشادي على التوتر النفسي لدى طالبات المرحلة الثانوية ، رسالة دكتوراه غير منشورة للدكتور جمال شفيق ، كلية التربية جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ونظرات نفسية تربوية – دروس مستفادة من حرب الخليج ، لحامد العبد ، مجلة التربية ، جامعة أسيوط ، المجلد الثاني ، العدد التاسع ، ١٩٩٣م .

من دور المثقف العربي وهو يرد عليها ويفندها ابتداع الأباطيل ، بل إبراز الحقائق التي يعج بها التاريخ العربي في فتراته المختلفة[١]، فالعرب أهل حضارة وهذه الحضارة في أجزاء واسعة من الوطن العربي كانت سابقة للإسلام ، وكانت ممتدة على نمط حضاري غير موحد ، وكانت عظيمة بكل معاني هذه الكلمة ، فجاء الإسلام وزادها عظمة ونقلها من حالة اللاإيمان بالله إلى الإيمان بالله وحده ، وبرسول الله ﷺ الصادق الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين ، ووضع فيها شرف حمل لواء الرسالة والسير تحت قيادة الرسول الخاتم عليه

أفضل الصلاة والتسليم إلى البشرية والناس كافة ، وهكذا مثل العرب أساس جيوش الفتح الإسلامي ومادته[٢].

ثانياً : تقديم برامج تاريخية تسهم في جذب الشباب إلى جذوره ، وجعله يستقي من هذه الجذور ويمتد إليها امتداداً واعياً ومدركاً بتفاصيلها ومعانيها في الساق والفروع والثمار لشجرة اسمها الأمة العربية ، من خلال العناية والاهتمام الخاص بدراسة التاريخ الإسلامي بمختلف الوسائل والسبل والبرامج المنهجية والعلمية التي تسعى إلى ترسيخه وتعزيز مفاصله[٣].

ثالثاً : إعادة دراسة تراثنا الإسلامي وفهمه وقراءته قراءة نقدية تحليلية معرفية ، تخرجنا من الدوائر الثلاث التي تحكم أساليب تعاملنا مع تراثنا في الوقت الحاضر

---

(١) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي ، د. عبد الله أحمد الذيفاني : ١٥٣ – ١٥٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٥ .

(٣) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي ، د. عبد الله أحمد الذيفاني : ١٥٤ – ١٥٩ .

، دائرة الرفض المطلق ، ودائرة القبول المطلق ، ودائرة التلفيق الانتقائي العشوائي ، فهذه الدوائر الثلاث لا يمكن أن تحقق التواصل مع ما يجب التواصل معه من هذا التراث[١].

رابعاً : عدم الاستهانة والتفريط بالأصل وجوهر الحقيقة في التاريخ والتراث الإسلامي ، لأن الاستهانة به هو استهانة بالأمة ، كما يقول في هذا أحد الباحثين العرب : (هان التراث فضاعت الأرض ورخص الإنسان) ، فالحقيقة التي على الشباب أن يفهمها ويعلمها علم اليقين ، أنه بدعوى النهوض والارتقاء يمارس أعداء الأمة وذيولهم من أنصار التغريب على أمتنا سادية تربو على الإذلال ، فأعملوا في تراثنا نهباً وسرقة وفي وطننا الواحد الموحد تقطيعاً ، فجعلوا منه قطعاً متناثرة بل ومتناحرة[٢].

خامساً : تحرير التاريخ من التصحيف والتحوير ، وهذا جهد مطلوب من المثقفين أفراداً ومن المؤسسات الثقافية الرسمية والشعبية مجتمعة ، بما يحقق التواصل بين الماضي والحاضر وترسيخ الإيمان في نفوس الناشئة بتاريخهم ، حقيقة راسخة ومستقرة في عقل وقلب كل من ألقى السمع وهو شهيد ، وهي حقيقة التاريخ ، وأهميته في صياغة الحاضر ، وتحديد معالم المستقبل[٣].

سادساً : بناء منهج للتعامل مع التراث الإنساني المعاصر ، يُخرج تعامل العقل

---

(١) ينظر إصلاح الفكر الإسلامي، (مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر) ، طه جابر العلواني : ١٠٠ .

(٢) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي ، د. عبد الله أحمد الذيفاني : ١٥٦ – ١٥٧ – ١٧٠.

(٣) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي ، د. عبد الله أحمد الذيفاني : ١٥٩ .

المسلم معه من أساليب التعامل الحالية، التي تخلفت عن أُطر ومحاولات المقاربات مع الفكر الآخر، وتكريسه بكونه مركزية منفصلة متميزة، ثم المقارنات به لتنتهي بالرفض المطلق ، أو القبول المطلق بروح مستلبة تماماً ، أو الانتقاء العشوائي المتجاهل للمنهج[١].

سابعاً : أما في مجال الاجتماع ، فعلى المسلم أن يزيد من الثقافة العامة والإطلاع على حال الأقوام السالفة والمعاصرة وألوان تفكيرهم ، وطبيعة حياتهم ، وما انتهوا إليه من حال ، وهذه الثقافة العامة توسع مداركنا وتنضج عقولنا ، وتقربنا إلى الدقة والمرونة في أحكامنا[٢].

ثامناً : الإفادة من التجارب الإنسانية ، وإدراك الأخطاء والمحاسن ، مع فهم الظروف التي عاصرتها ؛ لنفهم كيف نتقي الأخطاء ونأخذ بالمحاسن بالنسبة إلى ظروفنا المشابهة لها أو المغايرة[٣].

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ النبي الأُمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

❊ ❊ ❊

(١) ينظر إصلاح الفكر الإسلامي ، (مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر) ، طه جابر العلواني : ١٠٠ .

(٢) ينظر مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، (العدد الثاني) (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) : ٢٧ .

(٣) ينظر إصلاح الفكر الإسلامي ، (مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر) ، طه جابر العلواني : ١٠٠ .

مصادر ومراجع البحث

وهي بعد القرآن الكريم

(١) إصلاح الفكر الإسلامي ، (مدخل إلى نظام الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر) ، طه جابر العلواني .

(٢) أثر استخدام برنامج إرشادي على التوتر النفسي لدى طالبات المرحلة الثانوية، رسالة دكتوراه غير منشورة للدكتور جمال شفيق ، كلية التربية جامعة عين شمس، القاهرة ، ١٩٨٨م .

(٣) الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي ، د. عبد الله أحمد الذيفاني، بيت الحكمة ، بغداد ، ط١ (٢٠٠١م) .

(٤) مدينة الله في الأرض قراءة معاصرة ، لزيدان عبد الفتاح قعدان ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .

(٥) معركة المصحف في العالم الإسلامي ، لمحمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) .

(٦) نظرات نفسية تربوية - دروس مستفادة من حرب الخليج ، لحامد العبد ، مجلة التربية ، جامعة أسيوط ، المجلد الثاني ، العدد التاسع ، ١٩٩٣م .

(٧) وحي الله حقائقُه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين ، أ.د. حسن ضياء الدين عتر ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، ط١ (١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م) .

الدوريات

(٨) مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، العدد الثاني ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) .

(٩) مجلة التربية الإسلامية ، العدد التاسع ، السنة الثلاثون ، مطبعة ناجي ، بغداد (جمادي الأولى ١٤١٠هـ - كانون الأول ١٩٨٩م) .

❊ ❊ ❊